وَأرْضَـــى بـــالإهَـــانَـــةِ مَـــعْ أُنَـــاسٍ
أُرَاعـــيـــهِـــمْ، وَلَـــوْ قَـــتْـــلـــي أحَـــلّـــوا[١]
وَأصْـــبـــرُ لـــلـــحَـــبـــيـــبِ وَإنْ جَـــفَـــانـــي،
وَلَـــمْ أتْـــرُكْ هَـــوَاهُ وَلَـــسْـــتُ أسْـــلـــو[٢]
عَـــسَـــى الأيّـــامُ تُـــنْـــعِـــمُ لـــي بـــقُـــرْبٍ،
وَبَـــعْـــدَ الـــهَـــجْـــرِ مُـــرُّ الـــعَـــيْـــشِ يـــحْـــلُـــو[٣]

فدى لقومي نفسي

قال في إغارته على بني ضبة:

[الكامل]

عَـــفَـــتِ الـــدّيـــارَ وَبـــاقـــيَ الأطْـــلالِ،
رِيـــحُ الـــصَّـــبَـــا وَتَـــقَـــلُّـــبُ الأحْـــوَالِ[٤]

= السماء، والخيول تصول وتجول بفرسانها لا تملّ الحركة، ولكن لا بدّ من عودتها إلى مرابضها، فإذا بها تعود سراعاً وقد تخفّفت من فرسانها الذين وقعوا ضحايا ضربات البطل المغوار، ممّا جعلها تتساءل حائرة ما الذي حصل لفرسانها؟ وماذا نزل بهم؟

(١) من أنفة الشاعر وكبريائه أنه لا يقبل الإهانة، ولكنه يتجرّع مرّها إذا صدرت من بني قومه، بل إنه يراعيهم، ويقبل منهم أن يقتلوه، فلا يعترض على ذلك.

(٢)، (٣) إن الشاعر يصبر على من يحبّ، حتى في حالة الهجر والجفاء، فهو لن يتخلّى عن حبّه لمن يحبّ مهما بعُد، فلن يعرف السلوان أيضاً؛ إلّا إذا جاد الزمان بقرب، وانتهى الهجر، عندئذٍ يحلو له العيش وينقلب مرّ العيش حلواً لذيذ الطعم.

(٤) عفت: محت. من طبيعة ريح الصَّبا اللطف، ولكنها فعلت فعلها فمحت =

وَعَفَا مَغَانِيَهَا وَأَخْلَقَ رَسْمَهَا
تَرْدادُ وَكْفِ العارِضِ الهَطّالِ[١]
فَلَئِنْ صرَمتِ الحَبلَ يا ابنةَ مالكٍ!
وَسَمِعْتِ فيّ مَقَالَةَ العُذّالِ[٢]
فَسَلي لِكَيْمَا تُخْبَرِي بِفَعَائلي،
عِندَ الوَغَى وَمَوَاقِفِ الأَهْوَالِ[٣]
وَالخَيْلُ تَعْثُرُ بالقَنَا في جَاحِمٍ،
تَهْفُو بِهِ وَيَجُلْنَ كُلّ مَجَالِ[٤]
وَأَنَا المُجَرَّبُ في المَوَاقِفِ كُلّهَا
مِنْ آلِ عَبْسٍ مَنْصِبي وَفَعَالي[٥]
مِنْهُمْ أبي شَدّادُ أكْرَمُ وَالِدٍ،
وَالأمّ مِنْ حَامٍ فَهُمْ أخْوَالي[٦]

= معالم الديار لطول العهد ومرور الزمن وتوالي النكبات فبدت صورة باهتة عن بقايا حياة.

(١) الوكف: القطر. العارض: السحاب. إن ربوع تلك الديار التي كانت ذات يوم تغنى بالحركة والنشاط الإنساني تبدو باهتة المعالم، وقد تمزّقت صورة وجودها لتوالي سنوات ماطرة، فإذا بالسحب ترسم صورة جديدة لها مغايرة لما كان معهوداً.

(٢)، (٣) يخاطب الشاعر ابنة مالك وقد قطعت علاقتها به، وقد أصغت لأقوال الوشاة والعُذّال الذين يضعون الأحاديث ويفترون الأكاذيب، والمفروض عليها أن تسأل من شهد الوقيعة فيخبرها بحقيقة الأمر أنه بطل لا يُشقّ غباره في ميدان المعركة، فهو يثبت كالجبال الصامدة في مواجهة الأهوال.

(٤) الجاحم: شدّة وطيس المعركة ومعظمها. تهفو: تسرع. إنها صورة محركة لجوّ المعركة، فالخيول تعثر بالقنا لشدّة زحام المقاتلين في وسط المعركة ولسرعتها وكثرة تجوالها في كلّ اتجاه.

(٥)، (٦) يفخر الشاعر بأنه جرّب كلّ فنون القتال فمهر فيها إذ إنه ينتمي لبني =

وَأنـا الـمَـنـيّـةُ حـيـنَ تَـشْـتَـجِـرُ الـقَـنَـا،
وَالـطّـعْـنُ مِـنـي سـابـقُ الآجَـالِ[١]
وَلَـرُبَّ قِـرْنٍ قَـدْ تَـرَكْـتُ مُـجَـدَّلاً
وَلَـبَـانُـهُ كَـنَـوَاضِـحِ الـجِـرْيـالِ[٢]
تَـنْـتَـابُـهُ طُـلْـسُ الـسِّـبَـاعِ مُـغـادراً
فـي قَـفْـرَةٍ مُـتَـمَـزِّقَ الأوْصَـالِ[٣]
وَلَـرُبَّ خَـيْـلٍ قَـدْ وَزَعْـتُ رَعـيـلَـهـا
بـأقَـبَّ لا ضِـغْـنٍ وَلا مِـجْـفَـالِ[٤]
وَمُـسَـرْبَـلٍ حَـلـقَ الـحَـدِيـدِ مُـدَجَّـجٍ
كـالـلّـيْـثِ بَـيـنَ عَـرِيـنَـةِ الأشْـبَـالِ[٥]
غـادَرْتُـهُ لـلْـجَـنْـبِ، غَـيـرَ مُـوَسَّـدٍ،
مُـتَـثَـنّـيَ الأوْصَـالِ عِـنْـدَ مَـجَـالِ[٦]

= عبس؛ ففعاله من فِعالهم، وهم في الذروة والمجد، أحدهم والده شداد، سبب اعتزازه، أما أمه فزنجية سوداء، وهو يفخر أيضاً بأخواله.

(١) تشتجر: تشتبك. يفخر الشاعر أن الموت يتمثّل به عندما تتلاقى الرماح في قتال عنيف، فطعناته لا شفاء منها، إنها تُسرع بآجال الأبطال.

(٢) اللبان: الصدر. الجريال: الخمر. وكثيراً ما التقى الشاعر ببطل كفوء، فهو لا يتصدّى للضعفاء، فإذا به يتركه معفّراً بالتراب، وقد اخترق رمحه صدر ذلك القرن، فإذا به ينضح دماً كأنه دنّ خمر تدفقت منهمرة ما فيه من خمرة.

(٣) طلس: مفردها أطلس: الأمعط ذات اللون الأسود الأغبر. تمزقه الأسود السود الغبر وتتناوشه في فلاة، وقد تقطعت أوصاله.

(٤) رعيلها: جمعها. الأقب: الفرس الدقيق الخصر. الضغن: الفرس الذي لا يجري إلّا بالضرب. المجفال: الذي ينفر من الجياد الجبان. كثيراً ما فرّق الشاعر الجموع، وهو يمتطي جواداً مطواعاً يأتمر بأمره، دقيق الخصْر.

(٥)، (٦) مسربل: لابس، متدرّع. حلق الحديد: الدرع. المدجج: الشاكي =

وَلَـرُبّ شَـرْبٍ قَـدْ صَـبَـحْـتُ مـدامـةً
لَـيْـسُـوا بـأَنْـكَـاسٍ وَلا أَوْغَـالِ[١]
وَكَـوَاعِـبٍ مِـثْـلِ الـدُّمـى أَصْـبَـيْـتُـهـا
يَـنْـظُـرْنَ فـي خَـفْـرٍ وَحُـسْـنِ دَلالِ[٢]
فَـسـلـي بَـنـي عَـكٍّ وَخَـثْـعَـمَ تُـخْـبَـرِي
وَسـلـي الـمُـلُـوكَ وَطَـيِّـئَ الأَجْـبَـالِ[٣]
وَسَـلـي عَـشَـائِـرَ ضَـبّـةٍ إِذْ أَسْـلَـمَـتْ
بَـكْـرٌ حَـلائِـلَـهـا وَرَهْـطَ عِـقَـالِ[٤]

= السلاح. يصف الشاعر بطلاً اكتملت بطولته وشجاعته، فضلاً عن دروعه التي تحمي جسده من الطعان وسلاحه وعتاده الحربي، فبدا كالأسد الذي يحمي عرينه وأشباله من عاديات الزمن، ورغم مؤهلاته تلك فقد تركه الشاعر مجدلاً يعانق التراب، وقد تقطعت أوصاله في ساحة الميدان.

(١) الشرْب: جماعة الشاربين. المدامة: الخمرة. أنكاس، الواحد نكس: الجبناء. الأوغال، الواحد وغل: الخسيس. يصف الشاعر صحبة الندماء الذين يُشاركونه الشراب، وهم على شاكلته شجعان يمتازون بالنبل.

(٢) الكواعب، إحداهن كاعب: الناهدات وقد امتلأت صدورهن. أصبيتها: استمالها. الخفر: الحياء. يصف الشاعر فتيات في مقتبل العمر كأنهن دمًى جميلات، استمالهن بحسن عشرته ورجولته، ومن طباعهن الحياء وحسن الدلال والغنج.

(٣)، (٤) يطلب الشاعر من حبيبته أن تستعلم عن حسن بلائه في الحروب ويسمّي قبائل اشتهرت بالقوّة والمنعة، ورغم ذلك لم تمتنع على بني عبس، ومن تلك القبائل من تخلّى الأزواج فيها عن نسائهم كبني بكر وعقال، فكنّ سبايا أسيرات لديهم.

وَبَـنـي صَـبَـاحٍ قَـدْ تَـرَكـنَـا مِـنْـهُـمُ
جَـزَراً بـذاتِ الـرِّمْـثِ فـوْقَ أُثَـالِ[١]
زَيْـداً وسـوداً وَالـمُـقَـطَّـعَ أقْـصَـدَتْ
أرْمَـاحُـنـا وَمُـجـاشِـعَ بـنَ هِـلالِ[٢]
رُعْـنَـاهُـمُ بـالـخَـيْـلِ تَـرْدي بـالـقَـنَـا
وَبـكُـلّ أبْـيَـضَ صَـارِمٍ فَـصّـالِ[٣]
مَـنْ مـثـلُ قـوْمـي حـيـنَ يـخْـتَـلِـفُ الـقَـنـا
وَإذا تَـزِلُّ قَـوَائِـمُ الأبْـطَـالِ[٤]؟
يَـحْـمِـلْـنَ كُـلَّ عـزِيـزِ نَـفْـسٍ بـاسـلٍ
صَـدْقِ الـلِّـقَـاءِ مُـجَـرّبِ الأهْـوَالِ[٥]
فَـفِـدًى لـقَـوْمـي عـنـدَ كـلّ عَـظـيـمَـةٍ
نَـفْـسـي وَرَاحـلَـتـي وَسـائـرُ مَـالـي[٦]

(١) ومن هؤلاء بنو صباح، فقد قتلوا بعضاً من رجالاتهم في ذات الرمث ذلك المرعى في جبل أثال في ديار بني عبس.
(٢)، (٣) وراح الشاعر يعدّد من راحت رماحهم تمزّق أجسادهم وقد ملئوا رعباً، فخيول بني عبس تطاردهم ورماحهم تنال منهم وسيوفهم تفصل رؤوسهم عن أجسادهم.
(٤)، (٥) يفخر الشاعر بعشيرته؛ فهم لا يدانيهم في القبائل أحد في ميادين القتال، فهناك تشتجر الرماح، فتزلّ أقدام الأبطال أمام أبطال قبيلته، وخيولهم تحمل خيرة الناس عزة نفس وشجاعة، وهم يصدقون الحملة على أعدائهم، وقد عجنتهم الحروب عجينة خاصة لعراكهم ومجابهتهم الأهوال العظام.
(٦) لن يبخل الشاعر على قومه بوجوده وماله؛ فهو على استعداد للتضحية بكل غالٍ وعظيم، حتى نفسه فإنه مستعدّ لتقدمتها على مذبح عظمة قومه.

قَـوْمـي صَـمَـامِ لـمَـنْ أرَادُوا ضَـيْـمـهـمْ
وَالـقَـاهـرُونَ لـكُـلّ أغْـلـبَ صَـالـي[١]
وَالـمُـطْـعِـمُـونَ وَمـا عَـلَـيْـهـمْ نِـعْـمَـةٌ
وَالأكْـرَمُـونَ أبـاً وَمَـحْـتِـدَ خَـالِ[٢]
نـحـنُ الـحَـصـى عَـدَداً وَنـحْـسَـبُ قَـوْمَـنـا
وَرِجـالَـنـا فـي الـحَـرْبِ غَـيـر رِجـالِ[٣]
مِـنّـا الـمُـعـيـنُ عَـلـى الـنّـدى بـفَـعـالِـهِ،
وَالـبَـذْلِ فـي الـلَّـزبَـاتِ بـالأمْـوَالِ[٤]
إنّـا إذا حَـمِـسَ الـوَغـى نُـرْوِي الـقَـنَـا
وَنَـعِـفّ عـنـدَ تَـقَـاسُـمِ الأنْـفَـالِ[٥]

---

(١)، (٢) صَمام: الداهية، إنه مبني على الكسر، الصالي: المخادع. الضيم: الذلّ والظلم. ويفخر الشاعر بقومه؛ إنهم دُهاة في حروبهم يأبون الظلم والذل، فمن أراد أن يجرّعهم الظلم أوردوه ذلك المورد، وهم يُنزلون بالمخادع ألوان الذّل ممزوجة بالعلقم، وهم في المقابل كرماء يُنزلون ضيوفهم على الرحب والسّعة، ولا يمنّون أحداً بما يفعلون، وأنسابهم كريمة من جهة الآباء والأمهات.

(٣) يفخر الشاعر بكثرة الرجال في عشيرته، وهم في الحقيقة ليسوا كغيرهم من رجال القبائل، بل هم اكتملت فيهم الشجاعة والبطولة، وهم في ذروة الناس.

(٤) الندى: الكرم. البذل: العطاء. اللزبات: الشدائد. إنهم كرماء يُعينون من لبّى نداء الكرم بأموالهم، وخاصة إذا اشتدّت الأزمات في فصل الجوع واشتداد البرد في فصل الشتاء، هنا يُعرف الكرماء من غيرهم.

(٥) حمس: اشتدّ. الوغى: الحرب. الأنفال، واحدتها نافلة: الغنائم. ومن صفات عشيرته شدّة فتكهم بأعدائهم إذا حمي الوطيس فإنهم يروون رماحهم العطشى إلى دماء أعدائهم. وتكتمل فروسيتهم فإنهم يتركون الغنائم للضعفاء فيعفّون عند المغنم فلا يستأثرون منها بشيء لأنفسهم.

نَـأتـي الـصَّـريـخَ عَـلـى جِـيَـادٍ ضُـمّـرٍ،
خُـمْـصِ الـبُـطـونِ كَـأنّـهُـنّ سَـعـالـي[١]
مِـنْ كـلّ شَـوْهَـاءِ الـيَـدَيـنِ طِـمِـرّةٍ
وَمُـقَـلَّـصٍ عَـبْـلِ الـشَّـوَى ذَيّـالِ[٢]
لا تَـأْسِـيـنّ عَـلـى خَـلـيـطٍ زَايَـلُـوا،
بَـعـدَ الأُلـى قُـتِـلُـوا بـذِي أغْـيَـالِ[٣]
كـانُـوا يَـشُـبّـونَ الـحُـرُوبَ إذا خـبَـتْ
قِـدْمـاً بـكـلّ مُـهَـنَّـدٍ فَـصّـالِ[٤]
وَبـكـلّ مَـحْـبُـوكِ الـسَّـرَاةِ مُـقَـلّـصٍ
تَـنْـمُـو مَـنَـاسِـبُـهُ لـذِي الـعُـقّـالِ[٥]

---

(١)، (٢) الصريخ: المستغيث. السعالي، واحدتها سعلاة: الغيلان. ومن صفات عشيرته أنهم يلبون استغاثة الملهوف بسرعة وهم يمتطون جياداً خمص البطون، وليس معنى ذلك أنهم يجيعون خيولهم، بل المقصود أنها كذلك لكثرة جريانها في الحروب، ولذا فهي لشدّة جريانها تشبه الغيلان الجائعة التي تلاحق فرائسها، ومن سماتها طول اليدين، فهي من الجياد الطويلة القوائم، الضخمة الأطراف، وتمتاز بذيل ينسدل طويلاً، تتمايل بمشيتها المختالة.

(٣) يخاطب الشاعر نفسه داعياً إيّاها ألّا تحزن على رفقة كانوا كوكبة من الشجاعة بمكان رفيع، فإذا بالموت يلفهم بردائه، وقد قتلوا بذي أغيال.

(٤) يشبّون: يشعلون. كان هؤلاء ممن يضرمون نار الحروب ويزيدونها اشتعالاً ويرمون أنفسهم في ضرامها في حال سكونها، وبأيديهم سيوف قاطعة تنقط غضباً وموتاً.

(٥) محبوك السراة: الفرس المجتمع الظهر، قويه. ذو العقال: جواد من نسله داحس الذي اشترك بالسباق، فقامت على إثر السباق حرب داحس والغبراء =

وَمُـعَـاوِدِ الـتَّـكْـرَارِ طـالَ مُـضِـيُّـهُ،
طَـعْـنـاً بـكُـلّ مُـثَـقَّـفٍ عَـسّـالِ[١]
مِـنْ كُـلّ أرْوَعَ لـلـكُـمـاةِ مُـنَـازِلٍ،
نـاجٍ مِـنَ الـغَـمَـرَاتِ كـالـرِّئْـبـالِ[٢]
يُـعْـطِـي الـمِـئِـيـنَ إلـى الـمِـئِـيـنَ، مُـرَزّأٌ،
حَـمّـالُ مُـفْـظِـعَـةٍ مِـنَ الأثْـقَـالِ[٣]
وَإذا الأمُـورُ تَـحَـوّلَـتْ أَلْـفَـيْـتَـهُـمْ
عِـصَـمَ الـهَـوَالِـكِ سـاعَـةَ الـزّلْـزَالِ[٤]
وَهُـمُ الـحُـمـاةُ إذا الـنّـسـاءُ تَـحَـسّـرَتْ
يَـوْمَ الـحِـفـاظِ وَكـانَ يَـوْمَ نَـزَالِ[٥]

= بين قبيلتي عبس وذبيان. إن بني قومه يمتطون جياداً قوية حُبكت قوية التكوين من نسل الجواد ذي العُقّال.

(١) يصف الشاعر بطلاً يكرّ على الأعداء دائماً تتوالى طعناته للأعداء وبيده رمح لدن يهتزّ إذا ما اخترق الأجساد.

(٢) الأروع: المدهش لشجاعته. الرئبال: الأسد، رمح ذلك البطل يستأثر بمن يُثير الإعجاب لشجاعته، فهو ينازله، وذلك لن ينجو فحتفه على يدي ذلك البطل، وقد كان ينجو من براثن الغمرات في حروبه كالأسد، ولكن حان الحين، فلا بدّ من موت محتّم.

(٣) يصف الشاعر كرم ممدوحه، إنه كريم يجود بالوفير من النياق، ويتجاوز عطاؤه المئات لمن وقع في ضيق ورزئ ماله، فإذا به يحمل عنه عناءه ويُخفف عنه مصيبته.

(٤)، (٥) يعود الشاعر واصفاً بني قومه؛ فهم يتصدّون للمصائب فيدفعونها عمن حلّت في دياره، ومن صفاتهم حماية النساء في ساعة الشدّة يوم تتزلزل الأرض بهن، فإذا بهم ملاذ أمين لمن تلجأ إليهم في أيام الحروب، وقد دبّ اليأس في نفوسهن.

يُـقْـصُـونَ ذا الأَنْـفِ الـحَـمـيّ وَفـيـهـمُ
حِـلْـمٌ وَلَـيْـسَ حَـرَامُـهُـمْ بـحـلالِ[١]
الـمُـطْـعِـمُـونَ إذا الـسّـنُـونُ تَـتـابَـعَـتْ
مَـحْـلاً وَضَـنّ سَـحَـابُـهـا بـسِـجَـالِ[٢]

سلوا جوادي عني

قال وقد خرج عن قومه غضبان وسار بماله وإخوته وأهله ولحق بجبال الردم[٣]:

[البسيط]

لا تَـقْـتَـضِ الـدّيـنَ إلا بـالـقَـنـا الـذُّبُـلِ
وَلا تُـحـكِّـم سـوَى الأسـيـافِ فـي الـقُـلـلِ[٤]
وَلا تُـجـاوِرْ لِـئـامـاً ذَلّ جـارهُـمُ،
وَخَـلّـهـمْ فـي عِـرَاصِ الـدّارِ وَارْتَـحـلِ[٥]

(١)، (٢) ومن طبيعة بني قومه الأنفة، لذا فهم يدفعون عنهم من أراد أن يتكبر عليهم بكلّ ما أتوا، وهم فوق ذلك حلماء على من أخطأ بحقّهم ويقدرون على الاقتصاص منه؛ فإذا بهم يعفون عفو قادر، وهم كرماء إذا عمّ القحط وحلّ البلاء فامتنعت السماء عن البوح بخيرها، فجفّ الزرع وقلّ الضرع.

(٣) الردم: هو ردم بني جمع بمكة.

(٤) تقتض: تستردّ. القنا الذبل: الرماح اللدنة الطويلة. القُلل، واحدها قُلّة: أعالي الرؤوس.

(٥) عِراص الدار: وسطها وكلّ بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء.